مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة بتيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد :06/ العـدد:02 / ديسمبر (2022)، ص.514/507

صورة الآخر وقيّم التّعايش في رواية (كيف ترضع من الذّئبة دون أن تعضّك) لعمارة لخوص

he image of the other and the values of coexistence in the novel (kayfturdae min aldhiybat dun 'antaedak) Lamar Lakhous

هناء داود
hana@univ-guelma.dzdaoud.
مخبر الدراسات اللغوية والأدبية
جامعة 8ماي 195قالمة
(الجزائر).

تاريخ الاستلام: 2021/06/26 تاريخ القبول: 2022/10/12 تاريخ النشر : 2022/12/02

ملخص:
تمثّل رواية (كيف ترضع من الذّئبة دون أن تعضّك) للروائي الجزائري (عمارة لخوص)أحد أبرز النّماذج الّتي تطرح موضوع الآخر (الغرب)،وتعبّر عن العلاقات بين ثنائية الأنا والآخر، ويمكن الوقوف عليها من خلال مضامين ومواقف تضمنّها هذا النصّ الّذي سيكون مدوّنة بحثنا.
وذلك بهدف الكشف عن صورة الآخر بالنسبة إلى الأنا، وفي المقابل الكشف عن صورة الأنا بالنّسبة للآخر، واستجلاء قيّم التّعايش بين هذه الثّنائية الّتي تمثلهامجموعة من المهاجرين والعديد من الدول الغربية بثقافتها وشعبهامن خلال جملة السّلوكيات والمعاملات الّتي تجسّدها الرواية.**الكلمات المفتاحية:** صورة الآخر، قيم التعايش، الأنا.

Abstract:
The novel (kayfturdae min aldhiybat dun 'antaedak)by the Algerian novelist (Amara Lakhous) is one of the most prominent models that raise the subject of the other (the West), and express the relations between the duality of the ego and the other, and it can be found through the contents and positions included in this text, which will be the blog of our research.
with the aim of revealing the image of the other in relation to the ego, and in turn revealing the image of the ego in relation to the other, and to elucidate the values of coexistence between this duality embodied in the novel by a group of immigrants and many Western countries with their culture and people.
Keywords: the other´s picture-Coexistence-ego.

-مقدّمة:

بُني العالم على الاختلاف والتّعدّد والتّنوّع، حيث تتعدّد الثّقافات والدّيانات واللّغات، وتتنوّع الشّعوب وتختلف طرق العيش من مجتمع لآخر ومن دولة لأخرى وحتّى من شخص لآخر، ولأنّ طبيعة الإنسان تميل إلى حبّ الاكتشاف، فهذا الاختلاف يولّد لديه ميولا ورغبة في التّعرّف على الآخر والاطّلاع على ثقافته وطريقة حياته وكشف خصائصه الّتي تميّزه عن غيره، يقول جلّ وعلا﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَ أُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) ﴾[1]، وهذا خير دليل على قيمة التّعارف والتّعايش بين الشّعوب والمنفعة التي يحقّقها الفرد من ذلك، لأنّ التّفاعل بين مختلف الثّقافات والشّعوب يُحقّق المعرفة وتبادل الخبرات والأفكار ومنه يتحقّق التطوّر والارتقاء.

ولأنّ لكلّ شيء سلبيات وإيجابيات لابدّ من العمل على الاستفادة قدر المستطاع من الإيجابيات دون التّأثر بالأمور الّتي تترك أثرا سلبيّا في حياتنا، وهذا يعتمد على قوّة الشّخصيّة ومدى التّمسّك بالمبادئ والهويّة، لذلك وجب على الإنسان أن ينفتح على الآخر للاستفادة من اختراعاته وخبراته مع الحفاظ على هويته الأصليّة وعدم الذّوبان والانصهار في ثقافة الغير.

هذا الموضوع أسال حبر الكثير من الرّوائيّين العرب مثل: الطيب صالح في روايته (موسم الهجرة إلى الشمال)، وعبد الرحمن منيف في ثلاثية (أرض السواد)، وغادة السمان في رواية (سهرة تنكرية للموتى)، وواسيني الأعرج في رواية (كتاب الأمير)، وغيرهم ممن تطرّقوا إلى لحديث عن الآخر وصوّروه وفق رؤاهم الخاصّة لأنّ معظمهم زاروا الغرب واحتكّوا بثقافته وتعايشوا مع أهله، كما تعاملوا مع الآخر من خلال زياراته إلى بلدان هؤلاء المبدعين، الأمر الّذي جعلهم يتعرّفون عليه ويكتشفونه من مختلف جوانبه، فشكّلت هذه التّجربة مجالا خصبا للكتابة الرّوائيّة العربيّة عامّة والجزائريّة خاصّة.

ويعدّ الرّوائيّ الجزائريّ (عمارة لخوص) من أبرز الرّوائيّين الجزائريّين الّذين تطرّقوا للحديث عن تعدديّة الثّقافات وصراع الحضارات، وروايته (كيف ترضع من الذّئبة دون أن تَعضك)خير دليل على ذلك، حيث صوّر فيها عدّة جوانب من حياة الغرب الدّينيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، فنقل من خلال هذا النصّ الروائيّ طريقة عيش العربيّ في دولة غربيّة فعبّر عن مأساته واغترابه، كما عبّر عن نظرة الغربيّين إلى العربيّ، ونظرة هذا الأخير إليهم في رواية تفاعلت فيها جملة من الثّنائيّات نقل من خلالها الرّوائيّ صورة صادقة عن واقع يعيشه المهاجرون في بلاد الغربة بعيدا عن أوطانهم وأهاليهم، والعنوان يعطينا مبدئيّا لمحة عن مضمون الرّواية، كما يجعلنا نستشفّ أنّ هذا الآخر الّذي يتحدّث عنه الرّوائيّ يبدو صعبًا بل متوحّشا(الذّئبة)، فمن هو الآخر في هذه الرّواية؟ وكيف صوّره الرّوائيّ؟

وقبل البدء في الدّراسة التّطبيقيّة الّتي تقوم على المنهج التّحليلي يجدر بنا التطرّق إلى مفهوم "الآخر"، لأنّه من المصطلحات المفاتيح الّتي ترتكز عليها الدّراسة، وفيما يلي عرض لأهمّ المفاهيم المقدّمة له:

1-مفهوم الآخر:

ما المقصودبـ"الآخر"؟ سؤال يدفعنا إلى البحث عن المعنى الحقيقيّ لهذا المصطلح الّذي غالبا ما يلازمه مصطلح ثانٍ وهو "الأنا"، ولعلّ هذا يدفعنا منذ البداية إلى استنباط المعنى الظّاهريّ السّطحي للمصطلح وهو " الغير" أو الغريب" في مقابل "الأنا" الّتي تحيل إلى "الذّات"، هل فعلا هذا هو المعنى المقصود أم أنّ للمصطلح مفاهيم أخرى أوسع وأعمق وأشمل؟

من حيث المفهوم اللغوي جاء في معجم لسان العرب "الآخر" بمعنى غير[2]، وهو المعنى الّذي اتّفقت عليه جلّ المعاجم العربيّة، أمّا اصطلاحا فقد اختلفت المفاهيم المقدّمة له من باحث إلى آخر وتعدّدت بتعدّد المرجعيات الثّقافيّة والمذاهب الفكريّة، على حدّ تعبير لالاند (Laland) الّذي يقول في تعريفه للآخر «هو أحد المفاهيم الأساسية للفكر الّتي يصعب إيجاد تعريف محدّد لها، لذلك يمكن اعتباره مفهوما مضادا لما هو نفسه، ونعبّر عنه أيضا بعدّة ألفاظ، "كالمختلف" أو "المغاير" أو "المتميّز"»[3]، فالآخر ضدّ الأنا ، بمعنى كلّ ما هو مختلف وغريب عنها، إنّه في مفهومه العامّ وفي « أبسط صوره مثيل أو نقيض الذّات أو الأنا »[4]، فهو دائما له ما يقابله، حيث يشكّل ثنائيّة متضادّة مع مصطلح "الأنا" بحسب المفهومين السّابقين، فقولنا "أنا" و "أنت" تصبح هذه الأخيرة هي "الآخر" الّذي يختلف عن الأولى ويتميّز عنها، وقد يأتي نقيضا لها، وله خصائصه الّتي تميّزه عنها سواء من ناحية الجنس أو الدّين أو العرق أو الثّقافة أو المستوى.

فكلّ ما هو غريب عن الأنا أو الذّات يعدّ "آخرا"، من هنا يتضحّ أنّ «مفهوم "الآخر" يتأسّس على مفهوم" الجوهر"؛ أي ثمّة سمة أساسيّة جوهريّة تحدّد (الذّات) ممّا يجعل الآخر مختلفا عنها، وبالتّالي لا ينتمي إلى نظامها، أيا كان، فإذا كان الشّرق، كما في معالجة إدوارد سعيد للاستشراق، هو الآخر بالنّسبة للغرب، فإنّ الغرب سيرصد كل السّمات الّتي يختلف بها الشّرق عن الغرب بوصفها سمات دونيّة وربّما غير آدميّة، لكنّ المفارقة الّتي تتجسّد دائما ضمن خطاب الذّات والآخر هي مفارقة الجوهر نفسه، أي أنّ السّمة أو (السّمات) المائزة الّتي تجعل الشّرق شرقا لا علاقة لها

بالكيفيّة الّتي يعامل بها الغرب آخره الشّرق»[5]، فكلاهما له سماته الجوهريّة الّتي تميّزه عن الآخر، وهي الّتي تصنع المفارقة بينهما.

وبين الأنا والآخر علاقة ضدّية، لأنّ الأوّل بالنسبة للثّاني هو آخر، والعكس صحيح، فكلّ منهما آخر بالنّسبة للآخر إنّه «الكلّية المزدوجة لكينونة الذّاتيّة وتقويضها في الآن نفسه وهو يتداخل ويتمرأى في سلسلة غير منتهيّة تبدأ من أدقّ الانشطارات الذّاتيّة في علاقة الذّات بالذّات عبر زمن شديد الضّآلة ولا تنتهي إلّا بانتهاء الوجود البشري في الزّمان والمكان، فالفرد يمكن أن يكون آخر حتّى بالنّسبة لنفسه قبل مدّة قصيرة، ويمكن أن يتحوّل إلى آخر بعد مدّة قصيرة أيضا، وكلّ شخص هو آخر بالنّسبة لأيّ شخص على وجه الأرض»[6].

ولتحديد مفهوم المصطلح أكثر وضبطه، وضع الدّارسون ثلاثة محاور أساسيّة يقوم عليه مفهوم الآخر، فهو:[7]

- الشّخص الآخر أو المجموعة المغايرة من البشر.

- الآخر المشهديّ: ولا يختلف عن سابقه إلّا في حالة الذّات وتبلورها في مرحلة المرآة عند جاك لاكان (Lacan)، فالطّفل في مرحلة النّمو يحاول دائما تحقيق صورته المثاليّة المنعكسة في المرآة، فيصبح لهذه الغيريّة جانبها التّهديدي في صورة الآخر المثيل، بمعنى أنّ صورتك الّتي تراها في المرآة هي آخر بالنّسبة لك.

- الآخر الرّمزيّ: وهو عند "لاكان" وغيره من المفكّرين الفرنسيّين، الآخر بامتياز ، حيث يرون جميعا أنّ كينونة المرء لا تتحقّق إلّا باستخدامه نظاما تمثيليّا (اللّغة) يسبق وجوده، وعليه فإنّ حال نطقه يكون أصلا مكتوبا أو منطوقا مسبقا، هذا الوضع يجعل الوعي الذّاتيّ نفسه مخترقا من الخارج، أي أنّ الذّاتيّة التّقيّة ليست نقيّة لأنّ الآخر الغريب قد دخل مسبقا جوهر بنيتها، وهو هنا اللّغة.

من هنا يتبيّن أنّ الآخر يتمظهر في عدّة صوّر فهو الفرد أو المجموعة الخارجة عن الأنا أي المختلفة عنها دينيا أو عرقيا أو قوميا أو مذهبيا أو سياسيا أو اجتماعيا أو طبقيا، وهو صورة الأنا المنعكسة في المرآة، وهو اللّغة الّتي يتواصل بها النّاس فيما بينهم.

ومن خلال عرضنا لمفهوم "الآخر" يمكننا استنباط مفهوم "الأنا" الّذي يُقصد به في مفهومه العامّ «الذّات -الّتي هي نقيض للآخر – بما تمثّله الأنا على المستوى الشّخصيّ- والقوميّ والفكريّ والثّقافيّ والاجتماعيّ والسّياسيّ والاقتصاديّ، والواقع أنّ الذّات ليس شيئا موروثا لدى الإنسان، وإنّما يتشكّل خلال التّفاعل مع البيئة الّتي يعيش فيها ابتداء من الطّفولة وعبر مراحل النموّ المختلفة»[8].

وعلى العموم فـ "الآخر" و "الأنا" هما من الثنائيات المتلازمة الّتي لا يوجد أحدها إلّا بوجود الآخر، وكلاهما يعتبر من المصطلحات الّتي تحمل دلالات التّواصل والتّفاعل، كما تحمل دلالات التميّز والاختلاف، فعندما يقيم أحدهما علاقة مع الآخر فهو بذلك يتواصل معه ويحتكّ به بغضّ النّظر عن الفروقات بينهما، بل إنّ هذه الفروقات هي الّتي تثري القيمة الاتصالية بين هذه الثنائية، لذلك حظيت باهتمام الدّارسين في مختلف الميادين النّفسيّة والاجتماعيّة والدّينيّة والفلسفيّة والأدبيّة.

وفي مجال الأدب عُني الأدباء بقضيّة الأنا والآخر و عبّروا عنها كلّ بطريقته الخاصّة ووفق رؤيته وتجربته الخاصّة، وقد عُدّت الرّواية من أكثر الأجناس الأدبيّة الّتي أتاحت مساحة أكبر للتّعبير عن ثنائيّة الأنا والآخر وتصوير العلاقة بينهما من جوانب عدّة.

والرّواية الجزائريّة بثراء موضوعاتها وتعدّد كتّابها و اختلاف مرجعياتهم الثّقافيّة والفكريّة طرقت هذا الباب وعبّرت عن علاقة الأنا بالآخر، كما فعل الرّوائيّ "عمار لخوص" في روايته (كيف ترضع من الذِّئبة دون أن تعضك) الّتي تحدّث فيها عن "الآخر" ممثّلا في الغرب وصوّر واقع المهاجرين الجزائريّين هناك.

2-ملخص الرواية:

تدور أحداث الرّواية في إيطاليا، أين يعيش مجموعة من المهاجرين من مختلف الدول في عمارة وسط روما، حيث يجعلها الرّوائيّ مركز الحدث الرّئيسيّ- وهو مقتل شخص إيطالي يتميّز بعنصريته واحتقاره للسكّان يُدعى "الغلادياتور"، وفي اليوم الّذي يُقتل فيه يختفي أحد المهاجرين وهو شاب جزائريّ اسمه" أحمد" أو" أميديو" فتُوجّه أصابع الاتّهام إليه ويُنشر الخبر على وسائل الإعلام وسط تضارب الآراء حول براءته.

3-صورة الأنا المهاجر والآخر الإيطالي:

اختار الرّوائيّ "إيطاليا" كمكان رئيسيّ لأحداث الرّواية، حيث جعلها مركزًا يقصده المهاجرون من مختلف دول العالم على اختلاف ثقافاتهم ودياناتهم وأجناسهم وأفكارهم، إنّها بمثابة نقطة الالتقاء ومركز التّفاعل وملجأ كلّ باحث عن عمل أو طالب علم أو هارب من الحرب أو سائح، ولا غريب في اختيار هذه الدّولة دون غيرها بما أنّ الرّوائيّ من المغتربين هناك وبالتّالي فهو يريد التّعبير عن واقع غير بعيد عنه لينقل صورة صادقة لحياة المهاجرين الّذين دفعتهم الظّروف القاسيّة إلى التّخلّي عن أوطانهم واللّجوء إلى أوطان أخرى بحثا عن عيشة أفضل، لكن السّؤال الّذي يطرح نفسه: هل فعلا حصل هؤلاء على الحياة الّتي يبحثون عنها؟

سلّط الرّوائيّ الضّوء في روايته هذه على المهاجرين بالدّرجة الأولى، هدفه من وراء ذلك تصوير حياتهم وطريقة عيشهم والمعاملة الّتي يتلقونها في وطن ليس وطنهم بعيدا عن أهاليهم وعائلاتهم، لذلك منح لكلّ شخصيّة مساحة في الرّواية تكشف فيها عن حياتها وظروفها والدّافع الرّئيسيّ وراء هجرتها، وعلاقتها بالإيطاليّين وغيرهم من المهاجِرين، وهي الحقائق الّتي تُظهرها العديد من المواقف والرّؤى الّتي اختلفت من شخص لآخر كلّ حسب نظرته للحياة هناك ومدى تقبّله للآخرين وقدرته على التّعايش معهم.

ولعلّ عنوان الرّواية يحيلنا إلى عدّة دلالات وأبعاد، لأنّه عنوان رمزيّ مكثّف الدّلالة يحمل في طيّاته معانٍ ومفاهيم تقودنا إلى استنباط صورة الأنا المهاجِر وما تمثّله بالنّسبة للآخر الإيطالي، وقد جاء بصيغة المخاطب (كيف ترضع، تعضك)وكأنّ بالرّوائيّ يخاطِب المتلقّي ويبيّن له مدى خطورة عملية الرّضاعة من الذّئبة لأنّه سينجرّ عنها العضّ، مستخدما رمز (الذّئبة) ليُحيل مباشرة على المقصود وهي (إيطاليا)، فالذّئبة هنا جعلها الرّوائيّ معادلاً موضوعيًّا لإيطاليا مستلهما ذلك من تمثال الذّئبة وهي تُرضِع التّوأمين روموليوريمو، ليدلّ بها على كل ما تحمله من أبعاد تُحيلنا إلى معاني القوّة والقسوة والمكر والافتراس والغدر..إنّها خصم ليس بالسّهل إذا واجه الإنسان وجها لوجه.

ولعلّنا إذا تمعنّا في الحقائق الّتي كشفت عنها الشّخصيات الرّوائيّة، نجد أنّ معظمهم يُعانون سوء المعاملة من نظيرهم الإيطالي، الّذي ينظر لهم نظرة دونية تنمّ على الاحتقار والاستخفاف والاستهزاء، وهو ما يبرّره قول "إقبال أمير الله": « إقامتي الطّويلة تسمح لي بالتّمييز بين الإيطالي العنصريّ والإيطالي المتسامح: الأول لا يبتسم ولا يردّ على تحيّتي إذا قلت تشاو أو بونجورنو أو بوناسيرا ويتجاهلني كأنّي غير موجود بل يتمنّى من أعماق قلبه أن أتحوّل إلى حشرة قذرة كي يسحقني بقدمه بلا رحمة»[9]، وما أكثرهم بل جميعهم سوى السّينيور "أميديو" « الإيطالي المتسامح فهو كثير الابتسام وسبّاق إلى التّحيّة ...الوحيد الّذي يمتنع عن إحراجي ...»[10]، والمفارقة هنا تكمن في أنّ "إقبال أمير الله" يجهل جنسيّة "أحمد سالمي" الشّاب الجزائريّ الّذي هاجر إلى إيطاليا، ولأنّه أطلق عليه اسم "أميديو" ويجيد الإيطاليّة الكل يظنّه إيطالي الجنسيّة، إذن فالمعاملة الحسنة ليست فعل الإيطاليّين، وهي مقابلة أراد من خلالها الرّوائيّ أن يُبرز مدى معاناة المهاجرين-غير المرحب بهم- هناك وهو ما يبرّره المثل الإيطاليّ «الضّيف مثل السّمك بعد ثلاثة أيام يتعفّن»[11]، ولا فرق بين حياة السّمك وحياة المهاجرين و « المهاجر هو ضيف ليس أقلّ ولا أكثر، وكما أنّ السّمك يُؤكل طازجا ويُرمى في المزبلة إذا فقد لونه الأصليّ، فإنّ المهاجرين ينقسمون إلى نوعين: هناك النّوع الطّازج الّذي يُستغلّ في مصانع الشّمال أو في حقول الزّراعة في الجنوب أبشع استغلال، وهناك النّوع المتجمّد الّذي يملأ الثّلاجات ويُستهلك عند الضّرورة فقط»[12]، فلا قيمة للمهاجر في بلد لا يعترف بإنسانيّته بل يُنظر إليه كخادم لأسياده الإيطاليّين لا أكثر مقابل مبلغ زهيد، إنّها معاناة يعيشها المهاجرون كلّ يوم بل كلّ لحظة، ذنبهم الوحيد أنّهم أرادوا البحث عن حياة أفضل فاصطدموا بواقع أليم وحياة بائسة.

ومن صوّر معاناة المهاجِر في إيطاليا نذكر:

1.3-الإدانة والاتّهام: أصابع الاتّهام دائما تتجّه إلى المهاجرين فهم من يقتل ويسرق ويرتكب الجرائم، وهذا ما نلمسه في حادثة مقتل "الغلادياتور" أين اتُهم "أميديو" بقتله إلّا أنّ الجميع يرفض رفضا مطلقا أن يكون هو القاتل ليس لسبب سوى أنّه إيطالي (كما يُعتقد)، وتغيّرت النّظرة عندما اكتشفوا أنّه مهاجر«ألا ترون ماذا تقول الصّحف عن أحمد من أكاذيب، عندما اكتشفوا أنّه مهاجر وليس إيطاليا، لم يتأخّروا في اتّهامه بجريمة القتل»[13].

2.3- الاستغلال والاستهزاء والعنصريّة: حيث يستغلّ الإيطاليّون طاقة المهاجرين في أعمال شاقّة، وتُستغلّ أجساد الفتيات أبشع استغلال من طرف وحوش بشريّة لا تعرف الرّحمة «في شارع أبيا فِكيا الّذي يعجّ بطوابير طويلة من

فتيات من أوروبا الشّرقيّة ومن نيجيريا لا تتجاوز أعمارهم العشرين بل بعضهنّ قاصرات...وانتظار ساعات قبل الانقضاض عليها. من عادة جانفرانكو أو الخنزير.. الجلوس كلّ صباح مع رفاقه.. وعلى مرأى من الزّبائن لاستحضار تفاصيل مغامرة اللّيلة السّابقة كثيرا ما تُطلق ضحكات صاخبة متبوعة بتعليق ماجن..»[14] ، فمن خلال هذا القول يتبيّن مدى الاستغلال الّذي يتعرّض إليه المهاجرين، ما يدلّ على احتقارهم، والنّظر إليهم نظرة دونية كالعبيد الّذين يُجَرَّدون من حقّهم في الحياة الكريمة.

3.3- التّهميش والنّظرة الدّونيّة: لم يتقبّل الإيطاليّون حقيقة العيش مع المهاجرين في بلدهم، وإنّما طالبوا بترحيلهم إلى بلدانهم: «كان اعتقاديّ أنّ أميديو هو متطوّع إيطاليّ يساند المهاجرين...لا أعرف لماذا يُحمّلون أنفسهم مشقّة إعانة المهاجرين. الكثير من الإيطاليّين يتساءلون عن مسألة طرد المهاجرين المنحرفين خصوصا أنّ نصف المساجين في السّجون الإيطاليّة أجانب»[15] .

4.3- الانغلاق والضّياع والاغتراب: يعيش المهاجرون حالة من الانغلاق الذّاتيّ و الثّقافيّ بسبب عدم الاحتكاك بالإيطاليّين الّذين يرفضون التّواصل معهم كونهم لا يُجيدون اللّغة الإيطاليّة، هذا الّذي يُشعرهم بالإهانة و عدم التّواصل والاحتكاك بهم، ما يجعلهم يعيشون في عزلة عن المجتمع الإيطاليّ، كقول أحد الشّخصيات المهاجرة: « كثيرا ما يُقال لي: أنت لا تعرف الإيطاليّة أو عليك أن تحسّن لغتك أوّلا أو آسف مستواك اللّغويّ منخفض جدا.. إلخ، عادة ما أسمع هذه الكلمات المهينة عندما أبحث عن العمل في المطاعم قبل أن تُرمى في مطبخ لغسل الصّحون»[16] ، فيكتفون بأنفسهم بعيدا عن كلّ ما يخصّ إيطاليا والإيطاليين.

إذن فالمهاجر في إيطاليا هو «ذلك الشّخص الّذي يتعرّض لكلّ الاحتمالات الممكنة الّتي يمكن أن تُسفر عن محاولة اقتحام فضاء ثقافيّ وقيمي جديد، بحثا عن الاعتراف وبحثا عن الأمان والسّلام مع الحياة الجديدة، لكنّ العمليّة تتمّ بحذر وقد لا يخرج منها إلّا بآلام كبيرة، مثل الّتي تعانيّ منه شخصيّات الرّواية، وهي تجد نفسها على هامش الحياة في مدينة روما، تبحث في تسكّعها المكانيّ والوجوديّ والثّقافيّ عن ظلال تمدّها بالطّمأنينة»[17] .

هكذا يتضّح أنّ الأنا المهاجِر يعيش قلقا واضطرابا وضياعا بعيدا عن وطنه، وكلّها صوّر تكشف عن حالة التّمزّق الدّاخليّ و الصّراع مع الذّات ومع الآخر الّتي يُعانيها المهاجرون داخل إيطاليا.

4-مظاهر التّعايش بين الأنا المهاجر والآخر:

التّعايش في عمومه هو «علاقة تفاعليّة في بيئة مشتركة، بين فئات مختلفة، بغرض تحقيق استفادة أو تبادل منافع في ظلّ جوٍّ من الاحترام والمودّة»[18] ، وهذا ما يخلق التّفاعل والاحتكاك، وتبادل الثّقافات، والمعارف بين الطّرفين، وهذا يكون بـــ «التّعلّم للعيش المشترك، والقبول بالتّنوّع، بما يضمن وجود علاقة إيجابيّة مع الآخر»[19] ، تُنتج ثمارا تعود بالنّفع على الفرد والمجتمع، ذلك أنّ هذه العلاقة تكون مبنية على أساس التّفاعل الإيجابي بين طرفين يختلفان في الثّقافة، وبالتّالي يأخذ أحدهما من الآخر ما يطوّر ثقافته، ويجعله منفتحا على معارف الآخر، وممارساته الثّقافية، ويكون ذلك بما يتناسب وقناعاته، ومبادئه الّتي تحكمها الأسس الدّينية، والأعراف الاجتماعيّة.

ولا يمكن أن يحقّق التّعايش، والإفادة من الآخر أهدافه الإيجابيّة إلاّ بـــ «مراعاة ظروف الإنسان، وضمان حقوقه بوصفه إنسانا، ووضع رؤية عادلة وشاملة لمستقبل كلّ مجتمع، وتنفيذ ثقافة اجتماعيّة، واقتصاديّة، واجتماعيّة وسياسيّة»[20] ، إنّه ذلك التّفاعل بين مختلف الشّعوب من مختلف الأجناس والدّيانات في جميع المجالات، فهل ورد التّعايش بهذا المفهوم في الرّواية؟ للإجابة على هذا التّساؤل يجدر بنا التّطرّق إلى عدّة مستويات تُبرِز قيمة التّعايش بين الأنا والآخر في الرّواية، كالآتي:

1.4- على المستوى الاجتماعيّ:

أثناء قراءتنا لرواية "كيف ترضع من الذّئبة دون أن تعضّك" نقف على قضيّة رئيسة يطرحها الروائيّ وهي طبيعة العلاقة بين المهاجرين والإيطاليّين من جهة و علاقة المهاجِر بأخيه المهاجِر من جهة أخرى، إذ نجده يتطرّق إلى التّفاصيل الدّقيقة حول هذه العلاقة فيغوص في عمق حياة هؤلاء ويرصد يوميّاتهم المهنيّة والاجتماعيّة وطريقة التّعايش فيما بينهم، وما يستوقفنا هنا هو أحاديث الشّخصيات الرّوائيّة الّتي تكشف طبيعة هذه العلاقة ومدى حضور المفهوم الإيجابيّ للتّعايش في مدينة جمعت مختلف الجنسيّات تُضاف إلى المواطنين الأصليّين، وعمارة جمعت أفرادا تباينت لغاتهم وديانتهم وطرق تفكيرهم ونظرتهم للحياة.

ويبرُز مظهر آخر من مظاهر الحقد والكره بين المهاجرين والإيطاليّين والّذي نلتمسه في موقف البوابّة "بندتا" القادمة من نابولي الّتي تُظهر كرهها الشّديد للإيطاليّة "ستيفانيا" وهو شعور متبادل بينهما«قولوا لي هل تستحقّ ستيفانيامسارو شابا وسيما مثل السينيورأميديو ؟ هذه الشّيطانة تكرهني أنا أيضا أكرهها، أتحاشى قدر الاستطاعة التّحدّث معها... سعت بشتّى الوسائل لطرديّ من العمل لكنّها لم تفلح»[21] ، وما هذا الموقف المعادي بين المهاجرة "بندتا" والإيطاليّة "ستيفانا" إلاّ مثالا يصلح إسقاطه على بقيّة العلاقات القائمة بين المهاجرين والإيطاليّين وهو موقف يوحي بمدى الحقد وانعدام فرص التّواصل والاحتكاك بينهم وينمّ عن صورة سلبيّة لرفض الآخر وصعوبة التّعايش معه.

وعلى النّقيض من ذلك نجد البوّابة "بندتا" في موقف آخر تُظهر فيه مودّتها لبعض الإيطاليّين وحقدها للمهاجرين في قولها: «ما أكثر الشبّان الإيطاليّين الّذين لا يجدون عملا شريفا فهم مجبرون على السّرقة والكسب غير المشروع، يجب طرد العمّال المهاجرين وتعويضهم بأبنائنا المساكين»[22] ، وقولها: «لماذا لا يزجّون بإقبال و الألبانيّ وبقية المهاجرين المنحرفين في السّجون أو يطردونهم من البلد، أنا لا أطيق رؤية الخادمة الفليبينيّة ماريا كريستينا، فهي تستفزّني بوقاحة لا تُوصف»[23] ، وهي نموذج العنصريّة والطّبقيّة وعدم تقبّل الآخر الّتي سادت بين المهاجرين الّذين جمعهم القدر داخل عمارة واحدة ودولة واحدة، و هذا ينمّ عن الخلل في العلاقات الاجتماعيّة والشّخصيّة بينهم وعدم التّفاهم.

2.4- على المستوى الثّقافيّ:

يطرح الروائي قضية أخرى مهمة وهي قضيّة حوارية الأديان، أين يعبّر عن موقف الإيطاليّين من الدّين الإسلاميّ، وهم الّذين «لا يعرفون الإسلام كما يجب، يعتقدون أنّ الإسلام هو دين الممنوعات: ممنوع شرب الخمر! ممنوع أكل الخنزير! ممنوع الجنس خارج إطار الزّواج!»[24] ، إنّها نظرة الغرب إلى الدّين الإسلاميّ والّتي تعبرّ عن عدم تقبّل هذا الدّين، لذلك رفضوا المبادئ الّتي يقوم عليها، ما جعل المسلمين يبتعدون عنها أو بالأحرى ألغيت أعرافهم وطقوسهم الدّينية الإسلاميّة لأنّهم في بلد لا يعترف بالإسلام، كقول أحدهم: «أتمنّى أن يصير ابنيّ روبرتو مثل السنيورأميديو، أنا على وشك الحسم في مسألة إرساله إلى الحضانة الإيطاليّة بدل الكتاب لتعلّم القرآن»[25] .

كما طُرحت قضيّة التّعدّد اللّغويّ؛ أين يجد معظم المهاجرين صعوبة في التّواصل مع الآخرين، ويزيد من صعوبة العيش وتقلّ فرص الحصول على العمل فأوّل ما يُقال للمهاجر: «أنت لا تعرف الإيطاليّة، أو عليك أن تحسّن لغتك أولا، أو آسف مستواك اللّغويّ منخفض جدّا»[26] ، ومع ذلك منهم من يبقى متمسّكا بهويّته ويرفض التّخلّي عنها مهما كانت الظّروف وهو حال المهاجر الجزائريّ "عبدالله بن قدّور" الّذي يقول: «لن أغيّر جلديّ و لا دينيّ ولا لغتيّ ولا بلديّ ولا اسميّ مهما حدث، ليس مثل المهاجرين الّذين يغيّرون أسماءهم حتّى ينالوا رضى الإيطاليّين...أنا لا أُطيق كل من ينكر أصله»[27] .

إذن هي حقائق نقلها الرّوائيّ على لسان الشّخصيات الرّوائيّة عبّر من خلالها عن واقع المهاجرين في الغربة وما يتلقونه من معاملات تسيء لهم ولإنسانيتهم ولثقافتهم ولدينهم وهويتهم بصفة عامّة، إنّها معاناة المهاجر المغترب عن أهله ووطنه، فمجرّد الخروج من هذا الوطن لا تجد إلّا ذئابا شرسة لا ترحم، همّها الوحيد الاستغلال والسّيطرة، هكذا هو حال المهاجر في إيطاليا الّذي اصطدم بواقع أليم عنوانه الحقد والسّخريّة والاستهزاء والظّلم والفقر، لا يستطيع التغلّب عليه إلّا القويّ الّذي يعرف ثقافة الآخر ويدرك جيّدا كيفيّة التّعامل معه وصدق المثل القائل(من عرف لغة قوم أمن مكرهم).

فلا عيش مع الآخر إلّا بهويّتين واسمين وثقافتين (أحمد، أمديو) أو الانسلاخ عن الهويّة الأصليّة وتبنّي هوية الآخر كما فعل الكثير من المهاجرين الّذين تخلّوا عن هوّيتهم ليس لشيء إلّا لإرضاء الإيطاليّين، فرضعوا من الذّئبة لكنّهم تفاجأوا بعضّها الّذي لا يرحم ولعلّ أصدق قول يمكننا استحضاره في هذا المقام (إن لم تكن ذئبا أكلتك الذّئاب).

خاتمة:

جسّدت رواية (كيف ترضع من الذّئبة دون أن تعضّك) موضوعًا مفصّلا يطرح علاقة الأنا بالآخر، ويمكن الوقوف على نقاط عدّة تلخّص مضمون ما توصّل إليه البحث حول صورة الآخر، وقيم التّعايش البارزة في هذه الرّواية:

-تعدّدت صور الآخر الّذي تمثّله إيطاليا بالنّسبة للمهاجرين، بين صورة القوّة والشّراسة والاستغلال و اللاّ اعتراف.
-الرّوايةو عبر كثير من الثّنائيّات نقلت إلى لمتلقّي واقعا أليما يعيشه المهاجرون في إيطاليا، بسبب عدم تقبلهم ورفض التّعايش معهم لعدّة أسباب تعود إلى الدّين و الثّقافة و العرق..، ممّا جعل الذّات تعاني الاغتراب والقلق داخل فضاء الآخر، والشّعور بالإهانة والضّيق و اللاّ اهتمام، كلّ هذا كان كافيا للقضاء على المفهوم الإيجابيّ للتّعايش، بسبب الصّراع الدّائم بين المهاجرين والإيطاليّين، وبين المهاجرين مع بعضهم البعض.
-رواية "كيف ترضع من الذّئبة دون أن تعضك" تطرح في متنها الكثير من القضايا المتعلّقة بالهوّية والانتماء والحضارة والضّياع والاغتراب والصّدام بين الحضارات والأديان، فكيف لا تكون بهذا الثّراء وهي رواية كاتبها جزائريّ، مكانها الرّوائيّ إيطاليا وشخصياتها إيرانيّة، هولنديّة، إيطاليّة، جزائريّة.. إنّها رواية التّعدّد و تجاوز الحدود، وهذا الّذي ميّزها عن بقية الرّوايات وجعلها نصّا روائيّا مفتوحا على العديد من التّأويلات والقراءات الّتي تسعى في كلّ مرّة إلى سبر أغوارها و الغوص في أعماقها لكشف خباياها واكتشاف مميّزاتها و إثراء موضوعها الّذي طُرح وسيبقى يُطرح في ظلّ الصّراع القائم بين الذات والآخر.

-قائمةالإحالات:

1- القرآن الكريم، رواية ورش، الحجرات، الآية 13.
2- أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم، لسان العرب، مادة (آ خ ر)، مج: 4، دار صادر، بيروت، ص.12.
3- عبد الله بوقرن، الآخر في جدلية التّاريخ عند هيجل، أطروحة دكتوراه العلوم في الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص25.
4- ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل النّاقد الأدبي، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002، ص21.
5- المرجع نفسه، ص22.
6- صلاح صالح، سرد الآخر؛ الأنا والآخر عبر اللّغة السّرديّة، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص10.
7- ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبيّ، ص24.
8- مُحَمَّد كمال سرحان، الذات والآخر في رواية(حب في كوبنهاغن) لمحمد جلال، مجلة جامعة الناصر، العدد:6، مج:1، 2015، ص243.
9- عمارة لخوص، كيف ترضع من الذّئبة دون أن تعضّك، منشورات الاختلاف، ط2، 2006، ص50.
10- الرّواية، ص50.
11- الرّواية، ص133.
12- الرّواية، ص133.
13- الرّواية، ص135.
14- الرّواية، ص134.
15- الرّواية، ص144.
16- الرّواية، ص12، 13.
17- بن علي يونس، الهويّة الثّقافيّة: من الانغلاق الإيديولوجيّ إلى الانفتاح الحواريّ، قراءة في رواية "كيف ترضع من الذّئبة دون أن تعضّك" للرّوائيّ الجزائريّ عمار لخوص، مجلّ تمثّلات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، العدد:2، 2015، ص167، 168.
18- بدر الحسين، التّعايش من أجل السّلام، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض ط1، 2018،ص18 .
19- المرجع نفسه، ص18.
20- المرجع نفسه، ص18.
21- الرّواية، ص37.
22- الرّواية، ص38.
23- الرّواية، ص39.
24- الرّواية، ص50،51.
25- الرّواية، ص55.
26- الرّواية، ص12.
27- الرّواية، ص130.

قائمة المصادروالمراجع:

-القرآن الكريم.
-ابن منظور، لسان العرب، مج: 4، دار صادر، بيروت.
- بدر الحسين، التّعايش من أجل السّلام، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض ط1، 2018.

- بن علي يونس، الهويّة الثّقافيّة: من الانغلاق الإيديولوجيّ إلى الانفتاح الحواريّ، قراءة في رواية "كيف ترضع من الذّئبة دون أن تعضّك" للرّوائيّ الجزائريّ عمار لخوص، مجلّ تمثّلات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، العدد:2، 2015.
-صلاح صالح، سرد الآخر؛ الأنا والآخر عبر اللّغة السّرديّة، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، المغرب، ط1
- عبد الله بوقرن، الآخر في جدلية التّاريخ عند هيجل، أطروحة دكتوراه العلوم في الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007.
- عمار لخوص، كيف ترضع من الذّئبة دون أن تعضّك، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2006.
- مُحَمَّد كمال سرحان، الذات والآخر في رواية(حب في كوبنهاغن) لمحمد جلال، مجلة جامعة الناصر، العدد:6، مج:1، 2015.
- ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002.